

الموقف هو الذي يحدد متابعة القراءة او التوقف عنها . لذلك يحاول المؤلف في تداعيات حياة بطله اضاءة بعض الجوانب الذاتية - الطفولة ، ذكريات الدراسة ، السجون التي دخلها - ثم يضيف بعد العلاقة العاطفية بسيرة . تخدم هذه الاضاءة هدف رسم اطار تاريخي مقبول لكنها تفشل في استنطاق الشخصيات اشيائها بصورة طبيعية . فيغلب الافتعال وتضيق الرؤية الاجتماعية :

### البطل - النموذج :

خالد فتحي عزيز ، هو نموذج البطل الايجابي ، لا يخطيء ولا ينزلق . انسان ثوري متكامل . في الطرف الاخر تتقع شخصية ابي الملاحم . انه الخطأ مجسدا . ازدواجية الالوان الواضحة هذه ، البطل الايجابي والبطل السلبي ، تبرز خارج الرواية . نستطيع ان نقبل هذه الشخصية او ان نرفضها . غير أننا لا نستطيع مناقشتها . انسا حالة ايدولوجية . لا تتخلى عن صفتها هذه الا في السجن جزئيا . هناك نكتشف الى جانب خالد ، بطولات المقاتلين الاسرى ، حيث تلعو النبرة الانسانية اليومية ويخفت صوت الادعاء الفكري . واذا كانت خاتمة الرواية مليئة بالتعجب والتحدي ، فان هذا التفجر لا يبرر السياق العام لمجمل العمل الروائي . فالنموذج في رواية واقعية ، يصبح في افضل الحالات بديلا موضوعيا عن الواقع . لذلك يجعل من تفتيت الواقع داخل العمل الفني مبرره الوحيد . فتغيب الرواية الجدلية . وتصبح الممارسة النضالية حالة جامدة . لذلك يضطر المؤلف الى تصوير ابطاله السلبيين بشكل كاريكاتوري ، دون ان يفسح لهم مجالا للدفاع عن انفسهم . يرفضهم دفعة واحدة ملغيا حيوية الشخصية في الرواية . ان طريقة الاسقاط المسبقة هذه ، لا تسمح سوى بقراءة واحدة للعمل الفني . القراءة من خلال عيني المؤلف . لذلك تتسطح الشخصيات ولا يبتقى سوى الرسالة السياسية - الايدولوجية .

### الاسقاط السياسي المباشر :

« أدركت بالتجربة ان العمل الذي نقوم به من خارج الارض المحتلة لم يكن يستحق العناء الذي نبذله ، ولا يصح ان يصبح علينا الاساسي » . بهذه النبرة الاسقاطية يقوم فيصل حواراني على لسان بطله بتقييم تجربة المقاومة . هنا نصل الى صلب

الممارسة السياسية بالحب . ويعلو صوت الرسالة الايدولوجية حتى يغطي على جميع شبكة العلاقات الاجتماعية التي حاول المؤلف نسجها في بداية روايته - طفولة خالد ودراسته الجامعية - تستحيل العلاقات هنا الى سلسلة من الخطب ورباطة الجأش والموقف البطولي . ثم تعود في القسم الاخر من الرواية الى توتر درامي في وصف حياة الاعتقال والتعذيب الذي يتعرض له المقاتلون بعد مذابح جرش وعجلون .

### صيغة الغائب والتداعيات الشخصية :

صيغة المفرد الغائب ، هي الصيغة الغالبة على البناء الروائي بأسره . انه الجواب المباشر على البطل المفرد ، الذي يتحدور العمل الروائي على شخصيته . لذلك يكثر التذكر والتداعي ، داخل الفلاش باك الذي يقوم هو بمياغة البنية الروائية . تاركا لصيغة المفرد لتقوم في الحركة البنائية . ولا تشمل هذه الصيغة خالد وحده ، بل تمتد في بعض الاحايين الى سيرة - البطل الثانية في الرواية . اما الحوار او التأملات الذاتية ، فانها تصبح هنا مجرد علامات ، او فواصل يتوقف عندها العمل بأسره ليستجمع قاعدته الاجتماعية ، أي انها اطار لعلاقات من طرف واحد ، محورها الاساسي شخصية خالد الطافية . اما اطراف الحوار الأخرى فانها مجرد انعكاسات سلبية او ايجابية لانكار هذا البطل . تتوقد هذه التقنية الفنية مباشرة الى رواية الافكار . فالعلاقات الاجتماعية والممارسة النضالية ، ليست سوى حافز فكري ، يسمح للبطل باسقاط مواقفه السياسية اسقاطا . لذلك لا تأخذ العلاقات الانسانية مداها الكامل . تتوقف دائما عند نقطة وظيفية . فهي جزء من عالم واحد لا يتعدد . ان الاتجاه التوحيدى الغالب حول البطل - النموذج ، يحول السرد والحوار الى مجرد مداخل لعالم متكامل لا نعلم شيئا من آلية تكامله . فتؤدرة خالد على الواقع السياسي الذي ينتمي اليه هي ثورة بدون تاريخ . نتعرف من خلال السياق الروائي على بعض النصف التي لا تعطي فكرة متكاملة . لذلك يفرض علينا المؤلف انحيازنا مسبقا الى بطله . من هنا تضيق البنية الروائية بأسرها ، ويصبح الاسقاط الفكري - الايدولوجي ، هو المبرر الوحيد لمتابعة القراءة . فانت مجبر سلفا على اتخاذ موقف صريح من صراعات خالد . وهذا